

السيدة نفسية رضى الله عنها

التواابين ويحب المتطهرين) ([400]). وإذا ثبت هذا نقول: إن العبد إذا بلغ في الطاعة إلى حيث يفعل كل ما أمره الله، وكل ما فيه رضاء، وترك كل ما نهى الله وزجر عنه، فكيف يبعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة ما يريده العبد، بل هو أولى؛ لأن العبد مع ضعفه وعجزه لمّا فعل كل ما يريده الله ويأمر به، فلأن يفعل الرب الرحيم القدير به مرة واحدة ما أراد العبد كان أولى، ولهذا قال الله تعالى: (وأوفوا بعهدي أوفوا بعهديكم) ([401]). ثانياً: على أن الله لو امتنع إظهار الكرامة، لكان ذلك: إمّا لأن الله تعالى ليس أهلاً لأن يفعل مثل هذا الفعل، أو لأن المؤمن ليس أهلاً لأن يعطيه الله مثل هذه العطيّة. والأوّل قدح في قدرة الله تعالى وهو كفر، والثاني باطل، فإن معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله، وأحكامه وأسمائه، ومحبة الله وطاعته، والمواظبة على ذكره وتقديسه، وتمجيده وتهليله، أشرف من إعطاء رغيّف واحد في مفازة، أو تسخير حيّة أو أسد، فلمّا أعطى المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير سؤال، فلأن يعطيه رغيّفاً في مفازة، أو يسخر ما يسخره أقرب، ولا يُعد فيه. ثالثاً: وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حكاية عن رب العزّة: «ما تقرّب عبد إلى بمثل أداء ما افترضت عليه، فلا يزال يتقرّب إلى بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً، ولساناً وقلباً، ويداً ورجلاً، بي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يمشي» ([402]). وهذا الخبر يدل على أن الله لم يبق في سمعه نصيب لغير الله تعالى، ولا في بصره، ولا في سائر أعضائه، إذ لو بقي هناك نصيب لغير الله جل شأنه لما قال: أنا سمعه وبصره، فإذا